المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

يطبع لأول مرة

العصبية

وأثرها السيئ على الأمة

فضيلة الشيخ العلامة

أبي محمد ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا



الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

المعصية

وأثرها السيئ على الأمة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ ـ ٢٠١٢

طبع بإذن خطي من المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه
ما خلَّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 109- 2012

ردمك: 2-74-987-9947-978

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)
الفاكس : 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

المعصية

وأثرها السيئ على الأمة

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الإذن الخطي من المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أما بعد:

فقد أذنت لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع لصاحبها أبي معاذ سيدعلي لخضر بن عمر سحالي إذنا حصريا بطباعة الكتب التالية وتوزيعها عالميا :

نفحات الهدىٰ والإيمان من مجالس القرآن

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

ربيع ٨/٢/١٤٢٢هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنّ الحَمدَ لله نحمَدهُ ونستعينهُ ونَستغفِرهُ، ونعوذُ بالله من شُرُور أنفُسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فَلا هَاديَ له، وأشهَدُ أن لَا إلهَ إلاّ الله وحدهُ لا شَرِيكَ لهُ، وَأشهدُ أنّ محمَّدًا عبده ورَسُولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعدُ:

فإنّ أصدق الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلّ محدثة بدعةٌ، وكلّ بدعة ضلالةٌ، أمَّا بعد:

فإنَّها لفرصةٌ طيِّبة أن نلتقي بأبنائنا وإخواننا في الله لنتذاكر ما يهمُّنا من أمر ديننا، وليستمع بعضنا إلىٰ بعض في هذه المذاكرة في الموضوع الذي أُعلن عنه، ألا وهو: المعاصي وأثرها في حياة المسلمين أو في الدنيا والآخرة.

لا شك في أنَّ هذا الموضوع عظيمٌ جدًّا! وأنَّ المعصية ليس كما يتصوَّرها كثيرٌ من النَّاس هي الذنب المعروف أو المتعارف عليه! معصية الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تشمل أكبر المعاصي وأكبر الذنوب؛ ألا وهو الشِّرك بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، إلىٰ الكبائر من الذنوب وكبائر الإثم، إلىٰ المعاصي، إلىٰ البدع الغليظة والخفيفة؛ كلُّ هذه تدخل في اسم المعصية، فنطاقها واسعٌ

ومجالها واسع، وينبغي للمسلم الصادق والمؤمن بالله حقًّا أن يبتعد بنفسه عن كلِّ أنواع المعاصي بدءًا من أعظمها وأكبرها إلىٰ أدقِّها وأصغرها.

الغاية التي خلق الله من أجلها الجنَّ والإنس:

وقبل أن نتحدَّث عن المعاصي ينبغي أن نتحدَّث عن الموضوع الأساسي والوظيفة الأساسية التي خَلَقَ اللهُ الجنَّ والإنس من أجلها؛ ألا وهو عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧] فهذه هي الوظيفة الأساسية التي خلقنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أجلها، وسَخَّر لنا ما في السَّموات وما في الأرض لنقوم بها، وأمدَّنا بالفطرة، وأمدَّنا بالعقول، وأمدَّنا بالشرائع، وأمدَّنا بالرسالات والكتب؛ كلُّ هذه تساعدنا علىٰ النهوض بهذه المهمَّة العظيمة التي خلقنا الله من أجلها، ورتّب عليها

الجزاء العظيم إن قمنا بها، والعذاب العظيم إن نحن قصَّرنا فيها، فأعدَّ الجنَّة لمن يقوم بهذه العبادة لعباده المتقين المخلصين، وأعدَّ النار لأعدائه من الكافرين والمجرمين والمنافقين، فليحاول المؤمن أن يقوم بهذه الوظيفة الأساسية على الوجه الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعلى الوجه الذي ارتضاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وشرعه على لسان رسوله الكريم ﷺ؛ بدءًا من التوحيد، وانتهاءً بسائر الواجبات والمستحبّات التي شرعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لتقرِّبنا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن هذه الغاية العظيمة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وكلَّف اللهُ كلَّ رسولٍ أن يُبلِّغ أُمَّتَه هذا

المبدأ العظيم وهذا الأصل الأصيل الذي لا يُقبَلُ عملٌ إلا به؛ ألا وهو توحيد الله وإخلاص العبادة والدِّين له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، هذا هو الأصل الذي تقوم عليه الحياة الصحيحة: عبادةُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتوحيدُه، وإخلاصُ العبادة له، ويستلزم ذلك معرفةَ أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العُليا، وأفعاله العظيمة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يجب أن نعرفها حتىٰ نعرف من نعبد؛ الموصوف بهذه هذه الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، فإذا نحن عرفنا أسماءَ الله وصفاتِه؛ خَضَعْنَا لعظمته وجلاله، وأدركنا أنَّه بعظمته، وبجلاله، وبعلمه، وبحكمته، وبقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وخَلْقِهِ لهذا الكون، وتنظيمه، وتدبيره لأموره هو المستحقّ

للعبادة وحده؛ كما دلَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢] انظروا كيف ينادينا ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعبادته، ويُعَدِّدُ علينا نِعَمَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رفع السَّماء من أجلنا، ووضع الأرض ومهَّدها وسوَّاها من أجلنا، وأنزل المطر وأنبت النبات رزقًا لنا؛ لنقوم بهذا الواجب العظيم، فكيف يليق بمن يعرف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويعرف عظمتَه، ويعرف جلالَه، وأنه سيِّدُ هذا الكون، وربُّ هذا الكون، وبارئُه، وخالقُه، ومُدَبِّرُه، ومُنَظِّمُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الرازق وهو الذي جعل السَّماء سقفًا محفوظًا لنا، وجعل الأرض مهادًا وفراشًا، ووطَّأ لنا مناكبها؛ لنسيح عليها، ونطلب الكسب الحلال علىٰ ظهر هذه الأرض، وجعل لنا عليها هذه الجبال

لئلا تميد بنا؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢ - ٣٥]، والعياذ بالله أن نكون بهذه الحال، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العظيم الجليل ربُّ هذا الكون، وخالقُه، ومدبِّره، وما خلقه إلا لعبادته، وطاعته، وطاعة رسله، ثم يتمرَّد عليه؟! أيُّ عقلٍ عندك؟ أعطاك العقل، وأعطاك السَّمع، وأعطاك البصر، وأرسل إليك

الرسل، وأنزل إليك الكتب؛ كيف تعصيه؟! كيف تعصي من هذه عظمته وجلاله، وترتعد فرائصك لشخصٍ مثلك، مخلوق مثلك، مُدَبَّر مثلك، مسكين مثلك، فقير مثلك! إذا كنت تخاف منه وترتعش وتضطرب، ولا تخاف من الله رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو يراك، ويَطَّلع علىٰ خَلَجَاتِ نَفْسِك، ويَطَّلعُ علىٰ ما تُحَدِّثُ به نفسَك؛ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وكلَّف ملائكةً حَفَظَةً يُحصُون عليك كلَّ حركة، وكلَّ لفظة، وكلَّ كلمة؛ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ كيف تغفل؟! وكيف تأمن مكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟! وكيف تأمن بطش الله والله يقول: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٢ - ١٤]؟!

يجب علىٰ المسلم أن يقرأ الآيات والأحاديث التي

تصف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بصفات الكمال والجلال؛ فإنَّ ذلك يساعده علىٰ الخوف من الله، وعلىٰ مراقبته لله، وأنَّ الله أحاط سَمْعَه بكلِّ المسموعات، ويسمع كلَّ الأصوات، ويرىٰ دبيب النَّملة السوداء في الليلة الظلماء، أنا أرىٰ – والله أعلم– أن الذي يتمادىٰ بالمعاصي قد أعمىٰ الله قَلْبَه -والعياذُ بالله- وطمس بصيرتَه، فلا يدرك عظمةَ الله، ولا يتصوَّر أنَّ الله يراه، ولا يتصوَّر أنَّ الله يسمعُه، وإلا لو كان عند العبد هذا الإحساس حينما تُحدِّثه نفسُه بمعصية صغيرة كانت أو كبيرة لو تُحدِّثُه نفسُه بأنَّ الله يراني، وأنَّ الله يسمعني، وأنَّ الله يعلم ما سأفعله وأقترفه من المعاصي؛ لكان ذلك زاجرًا له عن معاصي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

لزوم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ومعرفة عظمة الله وجلاله:

إنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أمرنا بطاعته وطاعة رسوله ﷺ في كثيرٍ من الآيات، في كثيرٍ من الآيات يأمر الله بطاعة هذا الرسول

الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وينهانا عن معصيته في كثير من الآيات ومن الأحاديث؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٢٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ١ - ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١ - ٥٢]، آياتٌ كثيرةٌ جاءت تأمرنا بتقوىٰ الله، جاءت تأمرنا بطاعة الرسول ﷺ، جاءت آياتٌ كثيرةٌ تأمرنا باتباع هذا الكتاب، جاءت آياتٌ وأحاديث تأمرنا بالاعتصام بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ، وتنهانا عن المعاصي، وتنهانا عن جميع المخالفات، وتنهانا عن الشرك بالله، وتنهانا عن الابتداع في الدِّين، وتنهانا عن اقتراف الذنوب والمعاصي؛ آيات كثيرة! والله لو تلونا هذا القرآن حقَّ تلاوته واتَّبعنا ما فيه؛ لَسَعِدْنا في هذه الدنيا، ولَسَعِدْنَا في الآخرة؛ ولكن أكثرُنا معرضون؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦] (١)،

---

(١) **عن ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما=

آياتٌ عظيمةٌ تحثنا علىٰ اتباع كتاب الله، وعلىٰ طاعة الله، وعلىٰ طاعة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واللهِ لو عَبَدْنا الله ليلَ نَهار ما قمنا بعُشْرِ عُشْرِ عُشْرِ مِعشار ما يستحقُّه علينا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من العبادة والطاعة له والذل له والخضوع له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بالجبَاهِ لَهُ ... علىٰ شَبا الشَّوك والمَحْمي من الإِبَر
لَنْ نَبْلُغَ العُشْرَ من مِعْشَارِ نعمتِه ... ولا العَشِيرَ ولا عُشْرًا مِنَ العُشُرِ

سبحانه وتعالى ذو العظمة والجلال، الذي يصعب علىٰ كثيرٍ منَّا أن يتصوَّر هذه العظمة وهذا الجلال، تصوُّر هذا الرب العظيم الذي الكون كلُّه في قبضته، الكون كلُّه كالخردلة في يده(١) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ

= فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة. ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٠/ ٤٦٨)، وابن جرير في "تفسيره" (١٨/ ٣٨٩) وغيرهما.

(١) أخرج عبد الله بن أحمد في "السنة" (٢/ ٤٧٦) برقم (١٠٩٠)، وابن جرير في "تفسيره" (٢١/ ٣٢٤)، وذكره ابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ"=

حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، سبحانه وتعالى.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]، هذا الربُّ العظيم، تذكر يا أخي، تلاوةُ هذه الآيات تساعدك على النهوض بواجبك، وتساعدك على النهوض بطاعة الله، وتساعدك على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، والفرار من معاصيه، واتخاذ الشيطان عدوًّا مبينًا؛ فإنَّه عدوٌّ كما أعلمنا ربُّنا: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فكن من حزب الله، وكن من أنصار الله، وكن من جُند الله، ولا تكن من حزب الشيطان، ولا من أنصار الشيطان، ولا من عُبَّاد الشيطان؛ ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ

= (٣/ ٣٠٨) برقم (٢٣٧ - الأثيوبي): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**ما السموات السبع، والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم**».

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [يس: ٦٠ - ٦٣]، نعوذ بالله أن نلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في صَفِّ هؤلاء الذين يخاطبهم الله ويُوبِّخُهم هذا التوبيخ -والعياذ بالله-؟ فالفرار! الفرار إلىٰ الله! ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠]، يجب أن نفرَّ إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من هذا العدو الخبيث، ومن النفس الأمَّارة بالشر والسُّوء، ومن الهوىٰ؛ ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، فالنفس الخسيسة، والشيطان الخبيث العدو اللئيم، والهوىٰ الخطير؛ كلُّ ذلك يقودنا إلىٰ معاصي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بدءًا من الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وانتهاءً بأصغر المعاصي وأصغر البدع، فلنتحرَّ شَرْعَ الله، ولننهض بتقوىٰ الله، ولننهض بطاعة الله، ولنكن عباد الله حقًّا، ولنُحَقِّق الغاية

التي خُلِقْنَا من أجلها، ونبتعد عن الغاية الخبيثة التي رسمها الشيطان للبشرية من أوَّل يوم؛ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، هكذا! ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] الله رسم لك غاية، والشيطان رسم غاية؛ فاختر أيَّ الغايتين، الله أعطاك العقل، وأعطاك السمع، وأعطاك البصر، وأرسل إليك الرسل، وأنزل إليك الكتب، فوالله ليس لك حق أن تختار إلا تحقيق الغاية التي خلقت من أجلها، وأن تحبط هذا المشروع الخبيث، وهذه الغاية الخبيثة؛ التي رسمها الشيطان الرَّجيم -والعياذ بالله-، وسوف يتبرأ منك يوم القيامة؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] ما عندي أيَّ حُجَّة أبدًا أُقنعكم بها، دعوتكم

فبكلِّ سهولة استجبتم لي، أنتم تتحمَّلون المسؤولية، وأنا بريءٌ منكم، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ﴾ والعياذ بالله، يقوم خطيبًا في النَّاس يقول لأتباعه من المردة الشياطين ومن البشر الضَّالين يقوم فيهم بإلقاء هذه الخطبة: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، هذه هي النهاية! ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨]، ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، ماذا يريد الإنسان بعد هذه البيانات وبعد هذه الإيضاحات؟ ماذا ينفع

بعد هذا؟ أيُّ عذرٍ لنا إن نحن عصينا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سواءً بالمعصية الكبرىٰ وهي الشرك، أو التي تليها وهي البدعة، أو التي تليها وهي كبائر الذنوب، والعياذ بالله؟

السبع الموبقات:

والآن نتكلم عن شيءٍ من الموضوع الذي ارتبط بالعنوان؛ وهي المعاصي، فنتحدَّث أولًا عن المعصية الكبرىٰ؛ وهي الشِّرك وخطره؛ الذي يُغْفِلُه كثيرٌ من النَّاس.

الحديث عن الشِّرك الأكبر الواضح والشِّرك الخفي الكلام فيه والحديث عنه قليل، مما نشأ عنه بعض الغموض، وهذا الإهمال وهذا التساهل في العالَم الإسلامي من آثاره أن كثرت عبادة القبور، وعبَّاد القبور، وملؤوا الدنيا، وقد يكونون هم الأغلبية السَّاحقة في العالَم الإسلامي؛ فإنَّك حيثما تذهب شرقًا أو غربًا أو شمالًا أو جنوبًا إلا وتجد أهلَ التوحيد والسُنَّة في هذا البحر المائج من البشر وفي هذه

الملايين من البشر؛ تجدهم كالشَّعرة البيضاء في الثور الأسود - العياذ بالله-، ضَلُّوا في معرفة الله بأسمائه وصفاته إلا القليل، وضَلُّوا في عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فضاهَوْا عُبَّادَ الأوثان في دعاء غير الله، وفي الذبح لغير الله، وفي الاستغاثة بغير الله، وفي الخوف من غير الله، وفي الطمع والرجاء في غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا شيء واضح ملموس لا ينكره إلا مُسَفسِطٌ مغالط لنفسه -والعياذ بالله- ؛ أمر ملموسٌ في مشارق الأرض ومغاربها، أينما يذهب المسلم يجد ما يندىٰ له الجبين! ويتصدَّع له الضمير والقلب! والعياذ بالله! أين هذه الأُمَّة عن توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي امتلأ به كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ أين هو من هذا القرآن الذي قال فيه ابن القيم: إنَّ القرآن كلَّه في التوحيد، لأنَّه إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوةٌ إلىٰ عبادته وحده وخَلْع ما يُعبَد من دونه من الأوثان؛

وذلك هو التوحيد الطلبي أي: توحيد العبادة، وإمَّا حديثٌ عن أهل التوحيد وما جرىٰ لهم في الدنيا يعني: من الأنبياء والرسل، وما قصَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنهم، وإمَّا خبرٌ عن أعداء الرسل وما جرىٰ لهم في الدنيا، وما نزل بهم في الدنيا من الهلاك والدَّمار؛ الذي جرىٰ لقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم موسىٰ وقوم إبراهيم وقوم شعيب وغيرهم، ما جرىٰ لهم في الدنيا من الدَّمار والهلاك، وما ينتظرهم في العُقبىٰ من النَّكال والعذاب الخالد -والعياذ بالله-[(١)]، فالقرآن إذًا كلُّه حديثٌ عن التوحيد، وعن جزاء أهله الموحدين، وعن جزاء أعدائه المشركين؛ فكلُّه في التوحيد، أين العقلاء الذين ينظرون إلىٰ القرآن الكريم بهذا المنظار؟ يا إخوتاه، الحديثُ قليلٌ في التحذير من الشِّرك، وعن الدعوة

---

(١) **انظر**: "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ٢٩٠ - ٢٩١)، و"مدارج السالكين" لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ٤٤٩ - ٤٥٠).

إلىٰ إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وهناك مدارس وجامعات تحارب التوحيد، وتحارب أهلَه، وتُنشر كتبٌ بالأطنان تُوزَّع في طول العالَم الإسلامي وعرضه، إلا في هذه البلاد -والحمد لله- فهي مَحْمِيَّةٌ من هذا الزحف الشِّركي، والمقاومة الشِّركية لتوحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، في دول الدنيا كلِّها يُحارَب توحيد الله، وتُحارَب دعوة الله الحق، وتُحارَب دعوة التوحيد حربًا لا هوادة فيها، فضلًا عن أن يدعوا أهلَه إلىٰ شيءٍ من التوحيد -والعياذ بالله- هناك من يقول في المدارس: إنَّ الروافض من أهل السُنَّة، وإنَّ الوهابية كافرة ليست من الإسلام في شيء، من أجل ماذا؟ من أجل قيام جماعة التوحيد والسُنَّة؛ الذين نبزوهم بالوهابية، فإنه ما أطلقوا عليهم هذا اللقب إلا تشويهًا لهم، وتنفيرًا للنَّاس عن دعوتهم، هكذا تقرَّر في كثيرٍ من المدارس -والعياذ بالله- إذًا يجب أن تُكَثَّف الجهود في تبليغ دعوة الله الحق؛ دعوة

الأنبياء ألا وهي دعوة التوحيد، وأن يُتحدَّث كثيرًا وكثيرًا وكثيرًا، وأن يُكتب كثيرًا، وأن يُخطب كثيرًا، وأن يحذِّر وينذر كثيرًا من الشِّرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

يا إخوتاه، هناك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ يبايع أصحابه علىٰ أن لا يشركوا بالله [(١)]، وأحاديث كثيرة يحدِّثهم رسول الله عن الكبائر وعلىٰ رأسها الشِّرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في "الصحيحين" [(٢)]:

---

(١) **عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَالَ**: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةً، أَوْ ثَمَانِيَةً، أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا**، -وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً- **وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. رواه مسلم برقم (١٠٤٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

«**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْـحَقِّ، وَأكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**».

انظروا رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يأمر أصحابَه؛ ولا شك أنَّ علىٰ رأسهم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا وابن مسعود وغيرهم من كبار الصحابة وسادتهم وفقهائهم، يقول لهم: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**» أي المهلكات، ما هي؟ «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ**»، وكم من أحاديث وردت في أنَّ رسول الله كان يبايع أصحابه علىٰ أن لا يشركوا بالله شيئًا[(١)]، فلماذا لا يُحذَر

(١) منها حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا باللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ؛ فَهُوَ إِلَىٰ اللَّهِ إِنْ شَاءَ**=

من هذه الموبقة، موبقة الموبقات وهي الشِّرك بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ لماذا لا يقال للمسلمين: اجتنبوا هذه الموبقات وعلىٰ رأسها الشِّرك، ويليه السِّحر؛ لأنَّه كفرٌ -والعياذ بالله-؟ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] يهوي من السَّماء فتخطفه الطير وهو هاوٍ من السَّماء، هذا مثل الذي وقع في الشِّرك، وهذا تشبيهٌ تقريبي، وإلا فإنَّ هذا من الخالدين في النار، فالذي يهوي من مكان سحيق يموت، والذي تتخطَّفه الطير يموت، إن كان مؤمنًا دخل الجنة وانتهت مشكلته، وإن كان كافرًا لا بسبب هُويِّه هذا يكون شقيًّا خالدًا في النار؛ وإنما بسبب شركه بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] شركٌ وضلالٌ

= عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» قال: فَبَايَعْنَاهُ عَلَىٰ ذَلِكَ. رواه البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

خطيرٌ! والعياذ بالله، كفىٰ به خُبثًا وشرًّا أنَّ الله لا يغفره، وإذا كان العبد موحِّدًا لله مخلصًا في دينه لله؛ فإنَّه يغفر له وإن عُذِّب، وإن دخل النار، لابدَّ له من الخروج منها والدخول للجنَّة، لكن هذا الشِّرك ذنبٌ لا يُغفَر، وإذا دخل صاحبُه النار لا يتغمَّده الله بشيء من رحمته، رحمةُ الله التي وسعت كلَّ شيء لا يحصل منها علىٰ شيء، ولو شفع فيه الأنبياء والملائكة وكل من السَّموات والأرض؛ فإنه لا تنفعه شفاعة الشافعين، والعياذ بالله، هذا أمرٌ خطير، يجب أن يكون المؤمن منه علىٰ غاية من الحذر، وأن يجتنب صغيره وكبيره، وكيف يتأتىٰ له أن يجتنب الشِّرك وهو لا يعرف ما هو الشِّرك؟ واللهِ مدارس وجامعات لا تدري ما هو الشِّرك وما هو التوحيد! فكيف بعوامِّ النَّاس؟ كيف بالرَّعَاع؟ وكلُّ هذا من كتمان العلم وإيثار الدنيا والمناصب والمصالح علىٰ الآخرة ﴿يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ والعياذ بالله!

فتغرُّهم المناصب التي يتبوؤونها، والأموال التي يجنونها من وراء هذا الجهل والضَّلال، جعلت هذه الأُمَّة في دوَّامة خطيرة تحتاج إلىٰ حشد حاشد من جنود الله، ينبثُّون في أرض الله، وينشرون فيهم توحيد الله، واللهِ إنَّها لكارثةٌ عظيمةٌ جدًّا!

هذه الأُمّةَ كان الواجب عليها أن تتمسك بالتوحيد، وأن تتمسك بكتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ثم تُحمَل هذه الرَّاية إلىٰ دول الكفر؛ من النصارىٰ، واليهود، والمجوس، والهندوك، والوثنيين في أنحاء الأرض، ينشرون فيهم توحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، كما نهض بهذه الرِّسالة أولئك الذي عرفوا التوحيد، وامتلأت به قلوبهم، وذاقت بشاشتَه قلوبُهم، فبذلوا مُهَجَهُم وأموالهَم لنشر دين الله، ولإنقاذ البشرية من هذا الدَّاء الفتَّاك وهذا الدَّاء الخطير وهذا البلاء الماحق! فأنقذ الله به الأُمَّة، ثم تقاعست الأُمَّة ونامت، ثم زحف عليهم الزنادقة والملاحدة وشياطين الإنس والجن، فانقلبت الأمور

رأسًا علىٰ عَقِب، فانتشرت الأوثان والقبور والمعبودات من دون الله، وأصبح فيمن ينتسب إلىٰ الإسلام من يعتقد أنَّ الأولياء يعلمون الغيب، ويتصرَّفون في هذا الكون، ويدبِّرون شؤونه، هذا تجده في كتب ومؤلَّفات، وأُلِّفَت كتبٌ كثيرةٌ في كرامات الأولياء، حينما تقرأ كرامات هذا الوليِّ يُصوِّرُ لك الكاتب أنَّه إلهٌ حلَّ محلَّ رب العالمين في تدبير هذا الكون، وتصريف شؤونه، وإعطاء الملك لمن يشاؤون، وانتزاعه ممن يشاؤون، هؤلاء الزنادقة كادوا للإسلام والمسلمين، فبثُّوا هذه العقائد الفاسدة الخبيثة، وجعلوا من البشر الذين لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا أربابًا، إذا كان رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول الله عَزَّوَجَلَّ له يكلِّمُه ويأمره أن يعلنها مُدَوِّيَةً وصريحةً: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:

١٨٨]، ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١].

ويجمع رسول الله ﷺ عشيرته من قبيلة قريش وبطونها في صعيدٍ واحد: «**يا بني عبد مناف، يا بني عبد شمس، يا بني فلان، يا بني فلان، اشتروا أنفسكم من الله؛ لا أغني عنكم من الله شيئًا**»(١).

أشهد بأنَّه بلَّغ الرِّسالة، وأدَّىٰ الأمانة، وأنَّ من لا يعظِّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حقَّ عظمته، ويرىٰ أنَّ النَّاس والجن والملائكة كلَّهم عبيدُ لله فقراء إلىٰ الله، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ هذا من أشد الناس مخالفة للرسالة وأشدهم خيانة للأمانة، واللهِ لا يملك نَبيٌّ أن يزيد في عمره لحظة، ولا يزيد في رزقه ذرة واحدة، فضلًا أن ينفع غيرَه، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئًا، مهمَّةُ الأنبياء أن يبلِّغوا الرِّسالات، إن

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند البخاري برقم (٤٧٧١)، ومسلم برقم (٢٠٤).

هم إلا نُذر ومبشرين؛ لتقوم حُجَّةُ الله بذلك، ليسوا بخالقين، ولا برازقين، ولا يضرُّون، ولا ينفعون؛ كما أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكما أعلنها الله علىٰ لسان رسوله ﷺ في هذا القرآن الكريم، فإذا كان هذا أكرم البشر عند الله وأعظمهم عند الله، بل أكرم المخلوقين علىٰ الإطلاق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؛ فكيف بمن هو دونه؟!

لماذا هذا؟ حتىٰ تتعلَّق القلوب بالله وحده؛ لأنَّ توحيد الله جلا وعلا، يدفع القلوب إلىٰ أن تتعلَّق بالله، ترجو منه النفع، وترجو منه دفع الضر، وحصول الرِّزق، والحياة، والمسألة منه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا ينتظرون ذلك من أحد، ومن ينتظر أو يطلب شيئًا من هذه الأمور من غير الله، ولو من جبريل أو ميكائيل أو محمد أو موسىٰ؛ فإن له نصيبًا من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة:٧٢]، الذي يدعو عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

ويستغيث به ما حكمه في الإسلام؟ الذي يعتقد في عيسىٰ أنَّه ينفع ويضر، ويدبِّر هذا الكون إلىٰ آخره، ما حكمه في الإسلام؟ حكمه في الإسلام أنَّه كافر، من يعتقد هذا في محمَّدٍ؛ فهو مشرك، مُكَذِّبٌ لله، مُكَذِّبٌ للقرآن، مُكَذِّبٌ لمحمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنه لم يأمر بهذا، فسوف يقول لداعيه يوم القيامة: لم أقل: ادعني، استغث بي، استنجد بي، أنا قلت لك هذا؟ قلت لك: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ [الجن: ٢١]، والله سيتبرأ منهم رسول الله ﷺ؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، يا أخي، ما يستجيب لك الأنبياء إذا دعوتهم، واللهِ ما يستجيبون لك، الله أخبر بهذا: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا

حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦]

الله سمَّىٰ هذا شركًا[١]، وسمَّاه كفرًا[٢]، وسمَّاه عبادةً.[٣]

وهؤلاء المعبودون المدعوون حينما تدعوهم لا يستجيبون لك وهم غافلون، واللهِ لا يدرون من هذا شيئًا؛ كما أخبر الله، والذي لا يُصدِّق هذا كذَّب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هل تعتقد حينما تدعو الرسول أو عبد القادر أو البدوي أو الجيلاني، تدعوهم من مكان بعيد أو قريب أنهم يسمعونك،

---

(١) كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

(٢) كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

(٣) كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨ - ٤٩].

ويستجيبون لك، وينقذونك من الشدائد؟! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، من يستطيع أن يقول: أنا؟ من يستطيع أن يقول: أنا أجيب المضطر إذا دعاني؟ هل يستطيع أحدٌ أن يقول هذا؟ واللهِ الأنبياءُ أجلُّ وأعظم وأعظم حياءً وخوفًا ورَهَبًا من الله أن يقول أحدٌ منهم هذا، واللهِ لا يستطيع أن يقوله أحد، إنَّما يقوله الله، إذا سمع قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ من يقدر أن يقول: أنا أو فلان؟ هل تقدر أن تقول: محمَّد أو موسىٰ أو جبريل أو ميكائيل؟ من قال هذا؛ فهو كاذب، كذب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فالله عَزَّوَجَلَّ يكشف السوء في لحظة سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الله وحده، هذا حق الله، وهذه خصوصية الله عَزَّوَجَلَّ التي يدين بها الملائكة والأنبياء والموحِّدون الصالحون في كلِّ مكان وزمان، ولا يعترف بها عُبَّاد الأوثان وعُبَّاد القبور، لا يعترفون بهذه الحقائق الواضحة وضوح الشمس؛ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، كلُّ هذا ملكُ الله،

وكلُّه خلقُه، وتدبِّيره، وهو الذي أوجده، ونظَّمه، وهو الذي يفنيه، ويبيد كلَّ شيء، إلا وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُفني البشر ويبيدهم، ويفني الملائكة ويبيدهم ولا يُبقي منهم أحدًا، ثم يلاقونه يوم القيامة، ويأتونه حفاةً عراةً، حتىٰ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأوَّلُ من يكسىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(١)؛ ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، كلُّ واحد يأتيه، لا ملك، لا عزيز، لا مال، لا شيء، يأتيه مُجَرَّدًا كما خلقه أول مرة، فالخلق لا يملكون لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**لَا يُدْخِلُ أَحدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ**، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **وَلَا أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ**»(٢)، أدرِكوا عظمة الله؛

---

(١) روىٰ البخاري في "صحيحه" برقم (٤٧٤٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَىٰ اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا؛** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾، **ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**..» الحديث.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)، من حديث=

القرآنُ يَعْرِضُ عظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والسُنَّة تَعْرِضُ عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، فكلُّ شيءٍ فقيرٌ، وكلُّ شيءٍ لا شيء أمام عظمة الله وجبروته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذا ذُكر التوحيد ذاب كلُّ شيء، وخَضَع كلُّ شيءٍ، وذلَّ كلُّ شيء، وطأطأ الأنبياء والملائكة رؤوسَهم، خاشعين، خاضعين، ذليلين أمام عظمة الله وجبروته وجلاله وعظمته، واللهِ ما عرف النَّاسُ عظمة الله وجلاله كالأنبياء وهم أشدُّ النَّاس خوفًا من الله، فرسول الله ﷺ يقول: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(١)، لأنَّه يعرف عظمة الله أكثر من غيره فلهذا هو أخشىٰ النَّاس لله، وأخوف النَّاس من الله، قال له ربُّه: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من خوفه من الله يلقتط التمرة فيشتبه فيها فلا يأكلها وهو جائع(٢)؛ خوفًا من الله،

= أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٢) **وعن أنسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ وَجدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ:=

وورعًا وزهدًا، وخشيته أن تكون من الصدقة.

ولما جاء نفرٌ إلىٰ بيته وسألوه عن عمله، فأخبروا أنَّه يقوم وينام، ويصوم ويفطر، ويتزوج النِّساء، فكأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبيِّ ﷺ قد غُفِر له ما تقدَّم من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ! فقال أحدُهم: أمَّا أنا فأصلِّي الليلَ أَبَدًا، وقال الآخرُ: أنا أصوم النَّهارَ ولا أفطر، وقال الآخرُ: أنا أعتزلُ النِّساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجاء النبيُّ ﷺ إليهم فقال: «**أَنْتُمْ الذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(١)، وترخَّص في شيءٍ فتنزَّه عنه بعض الصحابة فغضب رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقال: «**مَا بَالُ أَقْوَام يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ! فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»(٢)،

= «**لَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا**». رواه البخاري برقم (٢٠٥٥)، ومسلم برقم (١٠٧١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٠١)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٠١)، ومسلم برقم (٢٣٥٦)، من=

هكذا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان إذا صلَّىٰ يُسمَع لصدره أزيزٌ كأزيز المِرْجَل[(١)]، تعرفون أزيز المرجل[(٢)]؟ يخرج هكذا، ويضطرب من ماذا؟ من خوفه من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكان ﷺ أشجع النَّاس، لا تعرف البشرية أشجع منه، وفي بدر وفي حُنَيْن وفي أُحُد وفي غيرها من المواطن؛ حتىٰ عليٌّ بن أبي طالب الشجاع المِقدَام يقول: «كنا إذا احمَّر البأس ولقي القوم

= حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥ و٢٦)، وأبو داود برقم (٩٠٤)، والنسائي برقم (١٢١٤)، ورواه ابن خزيمة في "صحيحه" برقم (٩٠٠)، وابن حبان (٢/ ٤٣٩، برقم ٦٦٥)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٣٩٦، برقم ٩٧١)، من حديث مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
قال الحاكم: (صحيح علىٰ شرط مسلم)، ووافقه الذهبي، وكذا قال ابن رجب في "شرح البخاري" (٦/ ٢٦٢ - الغرباء الأثرية)، وقال ابن حجر في "الفتح" (٢/ ٢٠٦): إسناده قوي.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح" (٢/ ٢٠٦): والمرجل: بكسر الميم وفتح الجيم القِدْرُ إذا غلت، والأزيز: بفتح الهمزة بعدها زاي ثم تحتانية ساكنة ثم زاي أيضًا؛ وهو صوت القدر إذا غلت، وفي لفظ: «كأزيز الرحىٰ».

القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنىٰ من القوم منه»[(١)]، ويوم حُنَيْن قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

هربوا من العدو، كان عددهم اثني عشر ألفًا، وعدد المشركين أربعة آلاف، فلما دبَّ إلىٰ نفوس بعضهم الاعتداد بالكثرة؛ أراد الله أن يريهم أنَّ النَّصر من الله، وليس من

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٥٦)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٢/ ٢٣٣)، وابن الجعد في "مسنده" برقم (٢٥٦١)، والنسائي في "الكبرىٰ" برقم (٨٦٣٩)، وأبو يعلىٰ في "مسنده" برقم (٣٠٢)، والحاكم (٢/ ١٥٥، برقم ٢٦٣٣) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد (١/ ٨٦ و١٢٦) وأبو يعلىٰ برقم (٤١٢).

وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخريجه لـ"المسند" (٢/ ٦٤).

ورویٰ مسلم برقم (١٧٧٦) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ. يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

عددهم؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] انفضُّوا عن رسول الله ﷺ وهربوا، والرسول ﷺ يركض بغلته نحو المشركين والعباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحارث يمسكان بزمام بغلته وهو يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»(١)، شجاع، ولكن أمام عظمة الله خوفٌ عظيمٌ! لا أحد يخاف مثله من الله عَزَّوَجَلَّ، فهو أمام القوَّة البشرية كلِّها وأمام الشرور والمعارك كلِّها أسد أشجع من الأسود، لا يوجد له نظير، ولكن أمام عظمة الله الذي خلقه وبرأه وأرسله وأسبغ عليه النِّعم يخافه، ويحبُّه غاية الحب، ويَذِلُّ له غاية الذُّل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

علىٰ كل حال الشِّرك أمرٌ عظيم، والحديث عنه لا تنهيه

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٨٦٤)، ومسلم برقم (١٧٧٦)، من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الجلسات والحلقات الكثيرة، ويحتاج إلىٰ مجلدات.

ولكن مادام الموضوع واسع وهو المعاصي، ننتقل إلىٰ المسألة الثانية أو الكبيرة الثانية أخت الشرك بالله وهي السِّحر: السِّحرُ كفرٌ عند كثير من علماء الإسلام؛ ومنهم مالك وأحمد وأبو حنيفة وللشافعي فيه تفصيل، السِّحر كفرٌ؛ وأدلَّة من يقول بكفره كثيرةٌ، ومنها قولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فسَّر كفرهم بتعليم الناس الكفر وهو السحر؛ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ومنها الحديث: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ**

سَحَرَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْه»[(١)]، ومنها قوله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[(٢)].

والأحاديث فيه كثيرة، وحكم هذا السَّاحر عند كثيرٍ من

---

(١) أخرجه النسائي برقم (٤٠٧٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده: عباد بن ميسرة؛ قال الذهبي في "الميزان" (٢/ ٣٧٨): ضعفه أحمد، ويحيىٰ، وقال يحيىٰ مرَّة: ليس به بأس. وقال أبو داود: ليس بالقوي، وكان من العباد.

روىٰ عنه أبو داود، والتبوذكي، ثم ذكر الحديث وقال: هذا الحديث لا يصح؛ للين عباد، وانقطاعه.

وقد رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١١/ ١٧) عن أبان عن الحسن مرسلًا.

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١)، وأبو داود برقم (٣٩٠٥)، وابن ماجه برقم (٣٧٢٦)، والطبراني في "الكبير" (١١/ ١٣٥)، والبيهقي (٨/ ١٣٨)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصحح إسناده النووي في "رياض الصالحين" (ص٤٨٤). والعراقي في "المغني عن حمل الأسفار" (٢/ ١٠٢٩).

الصحابة والعلماء القتل، وقد كتب عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حديث بَجَالة، كتب إلىٰ أحد أمرائه: أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة.(١)

وقَتَلَت حفصةُ جاريةً لها سحرتها.(٢)

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ جُنْدَبٍ الْبَجَلِيِّ أَنَّهُ قَتَلَ سَاحِرًا

---

(١) **أخرجه بذكر السحر:** عبد الرزاق في "المصنف" (١٠/ ١٨٠، ١٧٩) وأحمد (١/ ١٩٠، ١٩١) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٦/ ٥٨٣)، والبيهقي في "السنن الكبرىٰ" (٨/ ١٣٦)، و(٧/ ٥٨٤)، وأبو داود في "سننه" برقم (٣٠٤٣)، والبيهقي في "سننه الكبرىٰ" (٨/ ١٣٦) و(٩/ ١٨٩) ونقل عن الشافعي تصحيحه، وأخرجه ابن حزم في "المحلىٰ" (١١/ ٣٩٧) وصححه.

(٢) روىٰ عنها ذلك مالك في "الموطإ" بسند منقطع برقم (١٥٦٢).

وأخرجه عبد الرزاق (١٠/ ١٨٠/ ١٨٧٤٧) وابن أبي شيبة (٩/ ٤١٦/ ٢٨٤٩١) وعبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه كما في "المسائل" (ص ٤٢٧/ ١٥٤٣)، والطبراني في "معجمه الكبير" (٢٣/ ١٨٧/ ٣٠٣)، والبيهقي في "سننه" (٨/ ١٣٦) موصولًا، وصححه الإمام أحمد، وابن كثير رحمهما الله كما في "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (١/ ٣٦٥).

كَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ.(١)

وعن أَبُي سَعِيدِ بْنُ أَبِىٰ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الأَصَمُّ، حَدَّثَنَا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ كَانَ بِالْعِرَاقِ يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاحِرٌ فَكَانَ يَضْرِبُ رَأْسَ الرَّجُلِ ثُمَّ يَصِيحُ بِهِ فَيَقُومُ خَارِجًا فَيَرْتَدُّ إِلَيْهِ رَأْسُهُ فَقَالَ: النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ! يُحْيِي الْـمَوْتَىٰ. وَرَآهُ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِ الْـمُهَاجِرِينَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اشْتَمَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ فَذَهَبَ يَلْعَبُ لَعِبَهُ ذَلِكَ، فَاخْتَرَطَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُحْيِي نَفْسَهُ. فَأَمَرَ بِهِ الْوَلِيدُ دِينَارًا صَاحِبَ السِّجْنِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَسَجَنَهُ فَأَعْجَبَهُ نَحْوُ الرَّجُلِ، فَقَالَ: أَفَتَسْتَطِيعُ أَنْ

---

(١) رواه الطبراني في "الكبير" (٢/ ١٧٧)، والدارقطني (٣/ ١١٤، برقم ١١٣)، والحاكم (٤/ ٤٠١، برقم ٨٠٧٥)، والبيهقي في "الكبرىٰ" (٨/ ١٣٦).

تَهْرَبَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَاخْرُجْ لَا يَسْأَلُنِي اللَّهُ عَنْكَ أَبَدًا.(١)

فعددٌ كبيرٌ من الصحابة يرىٰ قتله، ويرىٰ قتله علىٰ الكفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا ذنب عظيمٌ كبيرٌ جاء بعد الشِّرك بالله، بل هو نوعٌ من أنواع الشِّرك بالله، ومن أخبث أنواع الشِّرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيجب أن يحذره المسلم، بل يجب علىٰ المسلمين جميعًا أن يحذروه، وأن يحاربوه، وأن يحاربوا أهله، وعلىٰ حكام المسلمين أن يُنَفِّذُوا فيهم حدودَ الله، حدُّ السَّاحر ضَرْبَة بالسَّيْف(٢)؛ هذا حدُّه كالمرتد، عند أحمد ومالك وأبي حنيفة وكثيرٍ من العلماء هو مرتد يُقتَل.

---

(١) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرىٰ" (٨/ ١٣٦).

(٢) روي مرفوعًا إلىٰ النبيِّ ﷺ، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أخرجه الترمذي برقم (١٤٦٠) والطبراني في "الكبير" (٢/ ١٧٢) والدارقطني (٣/ ١١٤)، والحاكم (٤/ ٤٠١، رقم ٨٠٧٣)، والبيهقي (٨/ ١٣٦) وأشار إلىٰ ضعفه.

قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، ويروىٰ عن الحسن أيضًا، والصحيح عن جندب موقوف.

وعند الشافعي علىٰ تفصيل قال: نسأله عن سحره إن كان فيه عبادة للكواكب، وأمثال ذلك مما كان فيه شرك؛ فهو كافر، ويُقتل لكفره، وإذا كان عنده أشياء أخرىٰ مثل: النفخ، والتبخير، وعقاقير؛ هذا يرىٰ الشافعي أنه ليس بكافر. ولكن الرَّاجح – والله أعلم– أنه إذا كان ساحرًا يتعاطىٰ السِّحر في أيِّ شكلٍ من الأشكال؛ فإنَّه وقع في هُوَّة الكفر بالله، علىٰ ما رَجَّح كثيرٌ من العلماء.

«**وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالحق**»، فهذه ثالثة الكبائر، بل من أكبر الكبائر؛ لأَنَّه جاء في حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**» وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّىٰ قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ. الله أكبر! ففيه قتل النفس من أكبر الكبائر، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا

تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، فقتل النَّفس أمرٌ عظيمٌ جدًّا جدًّا! والعياذُ بالله! الذي يقتل نفسًا فكأنَّما قتل النَّاس جميعًا، وحَكَم الله عليه بالخلود، ولكن يأتي هنا مذهب أهل السُنَّة؛ مذهب أهل السُنَّة يحمل علىٰ الخلود وعلىٰ الدوام إن عذَّبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأنَّه لو خلَّده لاستحقَّ الخلود (١)، وأنه ذنب

---

(١) وهو قول أبي هريرة وأبي مجلز وأبي صالح وعون بن عبد الله، وعمرو ابن دينار، ومحمد بن سيرين. انظر: "تفسير ابن جرير الطبري"=

عظيم، ويستدلون على عدم كفر القاتل بأدلة واضحة من القرآن؛ كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

فالخوارج ومن سار على دربهم يُكفِّرُون بقتل النفس، ويحكمون عليه بالخلود، ولا تقبل فيه شفاعة؛ كما هو شأنهم في سائر الكبائر؛ لأنَّ عندهم من ارتكب كبيرةً ومات عليها فهو كافرٌ مخلَّدٌ في النار، ولا يخرج، ولا تُقبَل فيه شفاعة الشافعين، وأنكروا الآيات التي تشعر بالشفاعة، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]،

= (٩/ ٦١)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (٦/ ١١٢٥)، و"تفسير ابن كثير" (٢/ ٣٨٠)، و"الدر المنثور" للسيوطي (٢/ ٦٢٨).

وقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلىٰ آخره، أنكروها لأنَّهم رأوا أنَّ مرتكب الكبيرة كافرٌ يخرج من الإسلام، ويباح ماله ودمه، ويستحقُّ الخلود في النار، علىٰ كل حال أهلُ السُنَّة وإن قالوا بعدم كفره؛ فليس معنىٰ هذا التهوين من شأن هذا الذنب العظيم، والعياذ بالله، كيف والرسول ﷺ يقول: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»(١).

فإذا أراق دمًا ضاقت فسحة الحياة عليه، وضاقت عليه فسحة الدِّين، والعياذ بالله، فقتل النفس أمرٌ عظيمٌ.

وما يدريك لعلَّ الله أن يقبل توبته؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٦٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فبيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّه إذا تاب العبد يقبل توبته من الكفر والقتل والزنا وما شاكل ذلك، ويُبَدِّل الله سيِّئاتِه حسنات؛ لأنَّ التوبة - والحمد لله - يعني: الإسلام، أي التوبة من الكفر يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تُكَفِّرُ الذنوب إن شاء الله، إلا في التَّبعات والحقوق بين النَّاس؛ فلابُدَّ أن يُوَفِّيَها في هذه الحياة الدنيا، وإلا تُستَوفَىٰ منه يوم القيامة، أمَّا فيما بينه وبين الله؛ إذا تاب فإنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقبل توبته، لكن يقول العلماء: إنَّ هذا الحق الذي يسقط عنه بالتوبة إنما هو حقُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأمَّا حقُّ القتيل فإنَّ الله إذا أراد للقاتل خيرًا وكانت توبته نصوحًا؛ فإنه يعطي القتيل ما يرضيه من فضله الواسع حتىٰ يرضىٰ عن أخيه المسلم، ثم يدخل إلىٰ الجنَّة.

«**وَأَكْلُ الرِّبَا**» بعد الشِّرك والسِّحر وقتل النفس، الرِّبا من كبائر الذنوب من أكبر الكبائر، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حرَّمه في

كتابه، وحرَّمه رسول الله في سنته، وأجمع المسلمون علىٰ تحريمه، وأنَّه أمرٌ خطيرٌ عظيمٌ -والعياذ بالله- فيجب علىٰ المسلمين جميعًا أو كلِّ من يتعاطىٰ شيئًا من أنواع الرِّبا أن يتوب إلىٰ الله؛ فإنه من الموبقات، والشِّرك من الموبقات، والسِّحر من الموبقات، والقتل من الموبقات، والرِّبا من الموبقات، أي المهلكات الماحقات! هذا أمرٌ عظيم! وَأَكْلٌ لأَمْوَالِ النَّاس بِالبَاطِل، فيجب علىٰ من يتعاطىٰ هذا الإثم وهذا الضَّلال وهذا الخبث أن يقلع عنه، وليس له إلا رأس ماله، فإن كان مستحلاًّ لذلك فهو كافر، والذي يَقتُل نفسًا محرَّمة مستحلاًّ فهو كافر، والذي يرتكب أيَّ ذنب مستحلاًّ له فهو كافر، إذا كان الله يحرِّم وأنت تقول: لا، حلال. قال الله تعالىٰ حاكيًا قول المشركين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ونهىٰ المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ

﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وجاءت أحاديث كثيرة؛ منها هذا الحديث الذي يبيِّن خطر الرِّبا، فعلىٰ المسلمين أن يُطهِّروا أموالَهم ومجتمعاتِهم ومعاملاتِهم من هذا الرِّجس، ومن هذا الوباء الخطير! قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].(١)

فيجب علىٰ المسلم أن يتوب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يرجع، فإذا رجع فله ما سلف، وأمره إلىٰ الله، فنسأل الله أن يتوب علينا من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها.

ثم قال النبيُّ ﷺ: «**وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**»، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ

---

(١) أخرج أحمد (١/ ٣٩٥ و٤٢٤)، وابن ماجه برقم (٢٢٧٩)، وأبو يعلىٰ في "مسنده" (٨/ ٤٥٦) برقم (٥٠٤٢) و(٩/ ٢٣٧) برقم (٥٣٤٨)، والحاكم (٢/ ٤٣) برقم (٢٢٦٢) و(٤/ ٣٥٣) برقم (٧٨٩٢)، والبيهقي (٤/ ٣٩٢) برقم (٥٥١١ و٥٥١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ يقول: «**مَا أَكْثَرَ أَحَدٌ مِنَ الرِّبَا إِلاَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَىٰ قِلٍّ**»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، مال اليتيم المسكين الضعيف تأكله؟ ربُّنا الجبار العظيم القويُّ القادر يعاقب هذا العقاب ويتوعَّد بهذا الوعيد، فالضعيف في المجتمع الإسلامي يجب أن يحميه المسلمون، فإذا كان وصيُّه ووليُّه ظالمًا يأكل ماله، فيجب أن يُضرَب على يديه بيدٍ من حديد؛ «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»[1]، لا يُترَك وشأنَه، بل يُرفع إلى المحاكم الشرعية؛ إنَّ هذا يقول ويعبث في مال هذا اليتيم وكذا، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] لا تقربه أبدًا إلا فيما يصلح مال هذا اليتيم الضعيف، فأنت لا تتناوله بأيِّ وجهٍ من الوجوه، إلا بما يُصلحُه ويُنَمِّيه كالتجارة مثلًا، أمَّا شيء ينقصه، وأمَّا

---

(١) ثبت عن النبيِّ ﷺ فيما أخرجه البخاري برقم (٦٩٥٢)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وتمامه: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**».

تصرُّف لا ينفعه، فخطر عظيم! كفىٰ به أنه من الموبقات، ومن أكبر الكبائر، وزجر الله عنه في غير ما آية، وتوعد عليه هذا الوعيد الشديد، فهو من الكبائر العظيمة، فإذا تصرَّف الوصي في مال هذا اليتيم؛ فعليه أن يحسن التصرف، وأن يعيد ما انتقص من مال هذا الضعيف؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ثم ذكر النبيُّ ﷺ بعدها: «**التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**»، جريمة كبيرة جدًّا! إذ علىٰ المسلم إذا كان في جيش وفي مواجهة العدوِّ أن يثبت؛ كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] فالتولي يوم الزحف ذنب خطيرٌ، ويفسح المجال للعدوِّ

أن يكسب المعركة، فإن هذا المتولي حينما ينهزم فإنه يقذف الرعب في صفوف المسلمين.

آثار الذنوب والمعاصي:

المعاصي لها آثارٌ خطيرةٌ جدًّا في حياة النَّاس في دنياهم وفي أخراهم، أما في الأخرىٰ ما ذكره الله في القرآن من الجزاء علىٰ الكبائر وعلىٰ الشِّرك؛ والقرآن مليءٌ بهذا، وفي الدنيا ما يلمسه النَّاس من جهل، وذلّ، وفقر، وهوان، وتسليط الأعداء، ونزول النكبات والكوارث؛ هذا بالنسبة للمسلمين، ولغيرهم أكثر وأكثر، فآثارها ما يلمسه كلُّ النَّاس؛ مما ينزل بالنَّاس من المجاعات، وكوارث الحروب، والفيضانات، والنَّكبات، وكذلك ما يحصل للأفراد من تقليب القلوب، وانتكاسها، وانغماسها في الشهوات، واتباعها للأهواء؛ كلُّ ذلك من آثار الذنوب؛ قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في الكفار: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وذكر أشياء كثيرة أنهم لا يهتدون إلىٰ الحق ولا يعرفونه؛ كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧]، فينتكس قلبه، فيمارس الكفر، ويمارس الشِّرك، فيمارس الضَّلال، ويمارس البدع، ويمارس المعاصي، ويرىٰ استعمالها حقًّا، ويدافع عن الباطل، ويجادل بالباطل؛ كل هذا من ارتكاس القلوب!

والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ: عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا** -يعني قبيح المنظر كريهٌ جدًّا- **كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلا يُنْكِرُ**

مُنْكَرًا إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». [(١)]

كلُّ هذه من آثار الذنوب، وقال الله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يدعو الله عَزَّوَجَلَّ -وهو من هو-: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبَ ثَبِّت قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ» [(٢)]، «يَا مُصرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قَلْبِي عَلَىٰ طَاعَتِكَ» [(٣)]، فلنضرع إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يقينا شرَّ الذنوب وشر المعاصي، وأن يجعل بيننا وبينها الحواجز والسُّدود، حتىٰ نلقىٰ ربَّنا راضيًّا عنَّا.

---

(١) أخرجه أحمد مسلم برقم (١٤٤)، من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد (٣/ ١١٢ و٢٥٧)، والترمذي برقم (٢١٤٠)، وابن ماجه برقم (٣٨٣٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٩)، وأبو يعلىٰ برقم (٣٦٨٧ و٣٦٨٨)، والبزار برقم (٧٥٠٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" برقم (٦٨٣)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٧٠٧، برقم ١٩٢٧). من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال الترمذي: (حديث حسن)، وصححه الحاكم.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفِّق المسلمين، وأن يأخذ بنواصيهم إلىٰ الحق، والخير، وإلىٰ طاعته، وطاعة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والاعتصام بحبله، واتباع هديه؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

الكذب وآثاره السيئة وموقف الإسلام منه ومن أهله

فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

التقوى وآثارها

وأوصاف المتقين وجزاؤهم

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

مراتب الهداية:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الفوائد": فأخبر عن آياته المشهودة العيانية أنها إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر، كما أخبر عن آياته الإيمانية القرآنية أنها إنما ينتفع بها أهل التقوىٰ والخشية والإنابة ومن كان قصده اتباعَ رضوانه، وأنها إنما يتذكر بها من يخشاه سبحانه كما قال﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه:١-٣]، وقال في الساعة﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥]، وأما من لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاها فلا تنفعه الآيات العيانية ولا القرآنية.

لهذا لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسل وما حل بهم في الدنيا من الخزي، قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣]، فأخبر أن في عقوباته للمكذبين عبرةً لمن خاف عذاب الآخرة. وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها يكون ذلك عبرةً وآيةً في حقه، وإذا سمع ذلك قال: لم يزل في الدهر الخير والشر والنعيم والبؤس والسعادة والشقاوة، وربما أحال ذلك على (أسباب فلكية وقوى نفسانية).

وإنما كان الصبر والشكر سببا لانتفاع صاحبهما بالآيات؛ لأن الإيمان ينبني على الصبر والشكر، فنصفه صبر ونصفه شكر، فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه، وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله وآياته، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر، فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى، فإذا كان مشركا متبعا

هواه لم يكن صابرا ولا شكورا، فلا تكون الآيات نافعة له ولا مؤثرة فيه إيمانا].

التعليق:

قال الشيخ -حفظه الله-: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وربما أحال ذلك علىٰ (أسباب فلكية وقوىٰ نفسانية) بعض الناس عندما تحصل الصواعق والزلازل والفيضانات يرجعونها إلىٰ أسباب فلكية، ولا يقولون: إن هذا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليتعظ العباد ويرجعوا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيقال لهم: أنتم لا تعرفون إلا الشيء القليل مما في خزائن علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وما أحطتم بكل شيء. ولهذا لا يخافون ولا يتعظون، ويأتون بهذه التعليلات ويقولون هذه أمور فلكية، فكسوف الشمس يحدث بسبب كذا وكذا، والصواعق بسبب التفاعلات الكيماوية وغيرها، وهذه تعليلات الكفار، وأما النبي ﷺ فلما مات ابنه إبراهيم خسفت الشمس فقال الناس: خسفت

الشمس بسبب موت إبراهيم، فقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزَعُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ**»(١).

فهذه آية من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنذار منه عَزَّوَجَلَّ ليرجع الناس إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، لهذا أمرنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن نفزع إلىٰ الصلاة وإلىٰ الذكر حتىٰ ينكشف ما بنا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما كان الصبر والشكر سببا لانتفاع صاحبها بالآيات؛ لأن الإيمان ينبني علىٰ الصبر والشكر، فنصفه صبر ونصفه شكر، فعلىٰ حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه.

قال الشيخ -حفظه الله-: الإيمان نصفه صبر ونصفه

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الكسوف – باب الصدقة في الكسوف] (٩٩٧)، ومسلم [كتاب: الكسوف - باب صلاة الكسوف] (٢١٢٧) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

شكر، فالصبر؛ صبر علىٰ طاعة الله، وصبر عن مناهيه، وصبر علىٰ أقدار الله، فإذا استكمل أنواعَ الصبر فهو من الصابرين المحمودين الذين يستفيدون من القرآن ويستفيدون من الآيات والعبر والعظات.

والشكر: القيام بالتوحيد وأنواعه وبالأعمال الصالحة، وشكر النعم يكون بإدراك أن هذه النعم كلها من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيزداد طاعة لله ويزداد حبا له وتوكلا عليه ورغبة فيما عنده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فعلىٰ حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه.

قال الشيخ -حفظه الله-: الذي لا يصبر علىٰ المصائب ولا يصبر علىٰ الطاعة كيف تكون حاله؟ يكون إيمانه إلىٰ النزول، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ**

سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». [(١)]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَلَا يَتِمُّ لَهُ الإِيمَانُ إِلَّا بِالصَبْرِ وَالشُكْرِ، فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوىٰ، فإذا كان مشركا متبعا هواه لم يكن صابرا ولا شكورا، فلا تكون الآيات نافعة له ولا مؤثرة فيه إيمانا.

قال الشيخ -حفظه الله-: قوله: (وَلَا يَتِمُّ لَهُ الإِيمَانُ إِلَّا بِالصَبْرِ وَالشُكْرِ)؛ فإن رأس الشكر التوحيد، فلابد من هذين الأمرين العظيمين الصبر والشكر، فالعبد الموفق يقوم بشكر الله علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ ومنها نعمة العقل والسمع والبصر، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي]كتاب: الزهد عن رسول الله – باب: ما جاء في الصبر علىٰ البلاء] (٢٣٢٠) وابن ماجه [كتاب: الفتن – باب: الصبر علىٰ البلاء] (٤٠٢١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالكفار أعداء الله لا يشكرون الله علىٰ نعمه بل يكفرون بها وعلىٰ رأس كفرانهم الشرك بالله واتخاذهم الأنداد لله.

والمؤمنون الذين هداهم الله وأراد لهم السعادة في الدنيا والآخرة يشكرون الله علىٰ نعمه العظيمة وعلىٰ رأس شكر الله القيام بتوحيده وإخلاص الدين له وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتصديق أخباره وإيمانهم الصادق بأن الله ما خلقهم إلا لعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قد يكون الإنسان كافرًا بليد الأعصاب والمشاعر ويتحمل بعض الأشياء، ولكن ليس هذا هو الصبر المطلوب، وإنما الصبر هو الصبر علىٰ طاعة الله والصبر عن معاصيه والصبر علىٰ أقداره، قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] صبر في البأساء، وصبر في

الضراء من أجل الله عَزَّوَجَلَّ وإيمان بأقداره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والصبر علىٰ طاعته سبحانه، وتأديتها رغبة ورهبة وصبرًا، والصبر عن معصية الله، فَيَكُفُّ جماحَ النفس عن الشهوات، ويحبسها عن الانحرافات، فهذا هو الصبر المحمود الذي يحمد الله أهلَه ويثيبهم ثواب الصابرين كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، الصابرون علىٰ هذه الأشياء الخيرة وحبس أنفسهم عن المعاصي وعن الظلم والبغي علىٰ عباد الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل الثاني وهو اقتضاء الفجور والكبر والكذب للضلال فكثير أيضا في القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

التعليق:

المتقون يهتدون بالقرآن، وهؤلاء يضلون به لفجورهم وقطيعتهم للرحم ونكثهم للوعود والعهود، فيُضلِّهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

التعليق:

الإيمان الثابت الحي سبب للتثبيت، يثبت المؤمن في الحياة الدنيا ويثبته في الآخرة، حين يسأله الملكان في القبر، كما جاء الحديث: «**فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي اللّه. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ**

هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية، وَأَمَّا الكَافِرُ أَوْ المُنَافِقُ، فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»(١) فثبت الله ذاك بسبب إيمانه واهتدائه بالقرآن وتصديقه لمحمد ﷺ، وخذل هذا الكافر والمنافق ففشل في الإجابة لأنه كذَّب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقلّد أعداءَ الإسلام من الكفار أو المنافقين، فسمعهم يطعنون في الرسول ﷺ ويطعنون في القرآن ففعل مثلهم، ويُخاف على الفاجر – أيضا – الذي لا يستجيب لأوامر الله عَزَّوَجَلَّ، لأن المخالفة تضعف الإيمان والتصديق وقد يفشل في الإجابة والعياذ بالله من ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد؛ (١٧٨٠٣) وأبو داود [كتاب: السنة – باب: المسألة في القبر وعذاب القبر] (٤١٢٧) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيم رحمه الله: وقال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء: ٨٨].

التعليق:

المنافقون أركسهم الله بنفاقهم – والعياذ بالله – فلا يُطمَع فيهم؛ لأن الله أخزاهم فلا أمل في هدايتهم، قال تعالىٰ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ومن كانت هذه حاله فلا يُطمع في إيمانه، يسمع كلام الله ويفهمه ويعقله ثم يتعمد تحريفَه وتضليلَ الناس وصدَّهم عن سبيل الله، وهذا حال اليهود، وقد يماثلهم بعضُ أهل البدع، فكثير من أهل البدع – من الروافض والخوارج والمعتزلة والأحزاب الضالة المجودة الآن، الذين يصدون جميعًا عن سبيل الله الحق – يعرفون أن المنهج السلفي هو الحق، ومع ذلك يحاربون أهل هذا المنهج ويحرِّفون

الآيات التي تدل على بطلان مناهجهم وتدل على صدق وأحقية ما عند أهل الحق.

قال ابن القيم رحمه الله: وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨].

التعليق:

هم يقولون إننا لا نفهم شيئًا ولا نفقه، فقال الله تعالى ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ فاستحقوا اللعنة بسبب كفرهم.

قال ابن القيم رحمه الله: وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

التعليق:

فأخبر أنه عاقبهم على تخلفهم عن الإيمان بمن جاءهم به وعرفوه وأعرضوا عنه بأن قلّب أفئدتهم وأبصارهم وحال

بينهم وبين الإيمان، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

السبب يقتضي المسبب والأثر يقتضي المؤثر، فبسبب الفسق والكذب والفجور وغير ذلك تحصل الضلالة، وبسبب الإيمان والصدق والإتباع تحصل الهداية.

والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والنبي ﷺ كان يقول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**» فيدعو بهذا الدعاء، فقال الصحابة: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ فقال: «**نَعَمْ إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يُقَلِّبُهَا**»(١)، فنسأل

(١) أخرجه أحمد (١١٦٦٤) وأخرجه الترمذي [كتاب: القدر عن رسول الله – باب: ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن] (٢٠٦٦) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله العافية والثبات، وأن يثبت قلوبنا علىٰ الإيمان والحق والهدىٰ، وأن يجنبنا كل أنواع الضلال والردىٰ.

قال ابن القيم رحمه الله: فأمرهم بالاستجابة له ولرسوله حين يدعوهم إلىٰ ما فيه حياتهم، ثم حذرهم من التخلف والتأخر عن الاستجابة الذي يكون سببا لأن يحول بينهم وبين قلوبهم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

التعليق:

عدم الاستجابة تؤدي إلىٰ كارثة، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكذب والفجور والمعاصي، فغطىٰ هذا علىٰ قلوبهم فأصبحت لا تفقه ولا تنقاد.

والزيغ عن الحق يؤدي إلىٰ زيغ القلوب كما حصل لليهود والعياذ بالله.

قال ابن القيم رحمه الله: فأخبر سبحانه أن كسبهم غطىٰ علىٰ قلوبهم وحال بينها وبين الإيمان بآياته، فقالوا أساطيرالأولين. وقال تعالىٰ في المنافقين: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] فجازاهم علىٰ نسيانهم له أن نسيهم فلم يذكرهم بالهدىٰ والرحمة، وأخبر أنه أنساهم أنفسهم فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما الهدىٰ ودين الحق، فأنساهم طلب ذلك ومحبته ومعرفته والحرص عليه عقوبة لنسيانهم له، وقال تعالىٰ في حقهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٦ – ١٧] فجمع لهم بين اتباع الهوىٰ والضلال الذي هو ثمرته وموجبه كما جمع للمهتدين بين التقوىٰ والهدىٰ.

التعليق:

النسيان في اللغة يأتي بمعنىٰ الترك، وهو المراد به هنا،

لأن الله لا ينسىٰ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] فتعالىٰ الله عن ذلك.

والجزاء من جنس العمل، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ زاغوا عن الحق فجازاهم الله أن زادهم غيًا، ولنحذر من هذا، لأن زيغ القلوب يؤدي إلىٰ ضيق القلوب بل قد يؤدي إلىٰ الكفر، والمعصية تجر إلىٰ المعصية والطاعة تجر إلىٰ الطاعة، ولهذا جاء في الحديث: «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**[1]» لأنه وجد الأمر هينًا ففعلت نفسه هذا الشيء ثم يتدرج ويزيد في ذلك فيؤدي به إلىٰ قطع يده، فعلينا أن نحذر من الوقوع في المعاصي والبدع والفواحش، لأن الشيطان يستدرج الإنسان درجةً درجة، من الصغيرة إلىٰ الكبيرة إلىٰ الأكبر منها، وقد

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب الحدود – باب لعن السارق إذا لم يُسَم] (٦٤٠١)، ومسلم [كتاب الحدود – باب حد السرقة ونصابهما] (٤٥٠٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يجره إلىٰ الكفر، وهكذا البدعة الخفيفة تجر إلىٰ البدعة الكبيرة، والبدعة مشتقة من الكفر وآيلة إليه.

هذا الفصل نافع وجيد، يُراجع ويستفاد منه، وهذا الكتاب مليء بالفوائد، وكتب ابن القيم وابن تيمية – رحمهما الله – مليئة بالفوائد وبالخير والعلم النافع، وكذا كتب سائر السلف، ينبغي أن تدرس وتفهم ويستفاد منها، يستقىٰ منها الإيمان والعقائد بالعلم النافع، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الانفال: ٢٩] فطلبك العلم مع تَقَرُّرِ الصدق والإخلاص فيه يجعل الله لك به فرقانا تفرِّق به بين الحق والباطل والهدىٰ والضلال.

الأسئلة:

يقول السائل: هل يجوز وصف الله عَزَّوَجَلَّ بلفظ ﴿شَيۡءٞ﴾ استنادًا إلىٰ قول الله تعالىٰ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: ١١]؟

الجواب: هذا لا يأتي في أسماء الله، إنما في باب الأخبار، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ﴾ والشيء هو الموجود، فالموجودات تسمىٰ أشياء، والله موجود، وهو واهب الوجود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا لا يأتي في باب الأسماء إنما في باب الأخبار، فهو يشترك فيه الخالق والمخلوق، وهذه المشاركة في أصل الوجود لا تقتضي مشابهة وجود المخلوق بوجود الله لأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقول السائل: إذا كان الشاب مبتدئا في الاستقامة فلا حرج في إعطائه أو تزويده ببعض الأشرطة الوعظية التي ترقق القلوب حتىٰ وإن كانت ممن لم يعرف بمنهج السلف. ما توجيهكم لذلك؟

الجواب: أنا أقول: إن أهل البدع وإن جاءوا بالرقائق فإنه لا تخلو مواعظُهم من البلايا؛ من الأحاديث الموضوعة

والضعيفة، لأنهم لا يهتمون بهذه الأشياء، وقد يدس فيها عقائده ويدس فيها شيئا من منهجه فيدسون السم في العسل، لهذا فالمبتدئ يجب ألا يأخذ إلا من أهل الحق لأنه ليس عنده تمييز، ومادام راغبا في الخير ويريد أن يرقق قلبه فعليه بالقرآن فإنه يكفيه، وعندك الحديث النبوي، تقرأ "رياض الصالحين"، "البخاري"، "مسلم"، والله لحديث واحد خير من ملايين من هذه المواعظ.

الناقد يسمع لينقد ويرد على أهل البدع ويحمي الناس من شرورهم، أما هذا فيتضرر إذا أخذ من كل من هب ودب، [إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم] (١) وأهل السنة والجماعة لا يأخذون دينهم إلا من أهل السنة؛ أهل الحق.

---

(١) رواه مسلم في المقدمة [باب في أن الإسناد من الدين] عن محمد بن سيرين (٢٦)

يقول السائل: في بلادنا -كما في كثير من بلدان المسلمين- أئمة المساجد صوفية ويرتكبون بعض البدع وقد يخالفون دعوة التوحيد، وناصحناهم فلم ينتصحوا فما هي طريقة التعامل معهم.

الجواب: طريقة التعامل معهم تكون بالدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا اضطررت. إلىٰ الصلاة خلفه قبل أن تقيم عليه الحجة فصل وراءه، وإذا كان عنده شركيات وأقمت عليه الحجة وعاند وكابر ورد الحق فلا تصلِّ وراءه، وإذا كان مستورًا لا تَعْرِفُ حالَه؛ قامت عليه الحجة أو ما قامت وهل عنده شيء من الشرك أو ما عنده، فصلِّ وراءه، فكان السلف يصلُّون وراء أهل البدع عند الحاجة، وإلا فينبغي لأهل السنة أن يبنوا لهم مساجد يصلون فيها ويقيمون فيها دين الله الحق والدعوة الصادقة، فبدون مساجد لا يمكنهم أن ينشروا دعوة الله عَزَّوَجَلَّ، فالدعوة تحتاج إلىٰ مساجد

تقام فيها الدروس والعظات والتربية والتوجيه، فإذا كانت المساجد بأيدي أهل الشر وأهل البدع والخرافات فلا تستطيعون أن تقوموا بشيء من هذا، فلابد أن يضحي أهل السنة ويبنون مساجد مهما كانت حتىٰ ولو من القش.

يقول السائل: يُشاهَد كثير من الناس عند الكعبة يتمسحون بها ويبكون عندها، فهل هذا العمل جائز؟

الجواب: هذا خلاف السنة، فالرسول ﷺ قَبَّلَ الحَجر ومَسَّ الركن اليماني فقط، ولما جاء معاوية وتمسح بالأركان كلها أنكر عليه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: لا يترك من البيت شيء، فقال ابن عباس: لكن سنة رسول الله ﷺ، فسلَّم معاوية له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [(١)]، فخير الهدي هدي محمد ﷺ، والذي يحب الرسول ﷺ عليه أن يتبعَه في كل قضية من القضايا، كيف

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الحج - باب: من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين] (١٥٣١).

طاف بالبيت، كيف سعىٰ بين الصفا والمروة، ماذا كان يقول بعرفات ومنىٰ ومزدلفة وغيرها؛ في طريقه، في سفره، في حضره، في مسجده، في بيته، عند نومه، يترسم خُطاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأن الإتباع الصادق أن تفعل كما فعل الرسول ﷺ علىٰ الوجه الذي جاء به طبق الأصل، فلا تأتي بكيفيات من عندك.

يقول سائل من فرنسا: وقعت لي مشكلة، وهي أن أختي تريد أن تُدَرِّس علوم الدين في المسجد، وقد سمعت بعض الناس يقول إن هذا ليس من طريق السلف، فما توجيهكم ونحن في هذه البلاد الكافرة؟

الجواب: إذا كان النساء لهن حاجز بينهن وبين الرجال ولا يختلطن بهم ويسمعن الدروس فلا بأس، بل لا طريق لها إلا هذا، وتُحمد وتُشَجَّعُ عليه. أما أن تُدَرِّسَ النساء في المسجد فلا، زوجات النبي ﷺ ما كن يُدَرِّسن في المسجد

وهن أمهات المؤمنين، ولم تقم واحدة منهن بدرس في المسجد، وكُنَّ يُدَرسن في بيوتهن ويُبلغن سنة رسول الله ﷺ، فهذا هدي السلف الصالح، وكل خير في اتباع من سلف.

يقول السائل: هل إقامة جلسات التوبة لبعض من وقع في بعض الأخطاء يعتبر من منهج السلف؟

الجواب: الإنسان ينصح المخطئ سرًا فيما بينه وبينه، والنصيحة ليس فيها إشاعة، فيقول له: اتق الله يا أخي وأنا أخوك وأرجو لك الخير، ويُذَكِّره بالله. أما هذه الطريقة المذكورة فأظنها من طريقة أهل البدع، والله أعلم.

يقول السائل: يكثر الكلام عن كثير من بلدان العالم بوجود الجهاد فيها، فما تنصحون الشباب في مثل هذه المواضيع؟

الجواب: الله المستعان!، أنا أسأل الشباب الآن: بماذا عاد هذا الجهاد الذي يقوده أهل الأهواء وأهل الضلالة على المسلمين وما الذي استفادوه منه؟ لم يأتِ منه إلا ضياع

الشباب وضياع أموال الأمة، يقدم شبابنا دفعةً دفعة إلىٰ الأمريكان فيقتلونهم، فالشباب الذي يُرجىٰ له الخير والنفع للأمة يقدمونه علىٰ أطباق من ذهب -كما يقال- وبكل سهولة.

الجهاد يحتاج إلىٰ أمة، ويحتاج إمامة وقيادة، ويحتاج إلىٰ عقيدة، ويحتاج إلىٰ راية، وكل هذه مفقودة عند هؤلاء. والآن عندما تُرسل مجموعة من الشباب يجاهدون الأمريكان، أين أسلحتك وطائراتك ودباباتك؟ ثم إلىٰ من يرجعون إذا هُزموا؟ فلما جاهدوا جهاد البلهاء قتلوا آلافًا مؤلفة من الشباب وأخذوا البقية أسرىٰ وشردوا النساء، فمن هي فئتهم؟ ليست لهم فئة.

والآن يذَبِّحون الشباب في العراق، وجهادهم بهلواني، ولا يجُرُّون إلا إلىٰ الهلاك علىٰ أهل البلدة التي هم فيها، فهذا الذي يسمونه جهادًا ضرره أكثر من نفعه، ولا ثمرة له إلا

إذلال المسلمين وخستهم وإخزاءهم، فدائما يُمْنَون بالفشل والهزائم أمام الأعداء من اليهود أو النصارىٰ؛ لأنهم لم يعدوا العدة الإيمانية ولا العدة المادية، فجهادهم جهاد المجانين المغفلين، فأين هم من قوله تعالىٰ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦٠] أين هذه القوة التي يرهبون بها الأعداء؟ ليس عندهم شيء! والله أعداء الله يفرحون، فلو أن عندك ألف مقاتل طائرة واحدة تكفي لقتلهم، ولكن أروني كم طائرة أسقطت للأمريكان في العراق وأفغانستان، وكم من جندي قتل لهم؟ وفي المقابل كم قتل من شباب المسلمين؟ الآلاف!، فهل هذه هي غاية الجهاد، إهلاك المسلمين وإذلالهم وفشلهم وخزيهم؟!! فالآن نحتاج إلىٰ المنهج السلفي لنربي الناس علىٰ العقيدة والإسلام الحق، وينتشر هذا المنهج وتقوم العقيدة الحقة، ويقوم الحاكم المسلم الصادق المخلص

الجهاد في الجزائر هل نفع الإسلام؟ وفي كشمير وفي الشيشان وفي العراق....؟ ما نفع، ولا فيه فائدة؛ لأنه ما أخذ بالأسباب الشرعية ولا الكونية، ويقوده أناس جهلة يدفعون الناس للقتل وهم -والله- يتمتعون ويتلذذون بكل أنواع الملذات، ويغررون بالشباب، ويقال: إن كويتيًا حرك مجموعة ونفخ فيها فراحوا إلىٰ العراق، فلما جاءوا إلىٰ قيادة الجهاد قالوا لهم: خذوا الأحزمة واذهبوا إلىٰ العمليات الانتحارية، فلم يكونوا أغبياء حتىٰ يقتلوا أنفسهم فرجعوا، هل هذا جهاد؟ الرسول ﷺ كان يخوض المعارك بنفسه، وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يقولون: «كنا إذا حمي الوطيس اتقينا برسول الله»[(١)].

هذا هو الجهاد الصادق، وما من سرية تخرج إلا ورسول الله ﷺ يتمنىٰ أن يكون فيها، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**والذي**

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٧٦) عن العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»(١)، وأما هؤلاء الذين يغررون بالآلاف من شباب المسلمين لا تمسهم ولا رصاصة، ويدفعون بأبناء المسلمين...، وهم لا عقيدة عندهم ولا منهج صحيح ولا أخلاق ولا شيء، ويتأكلون من هذا الجهاد، والله إنهم ليستدرون المليارات من جيوب المسلمين.

الأنبياء جهادهم جهاد الدعوة، تعلموا جهاد العلم وجهاد الدعوة حتىٰ يأتي وقت الجهاد، فإذا رأينا أنفسنا عندنا تعبئة كاملة للجهاد نجاهد، فالرسول ﷺ مكث في مكة وصبر كثيرًا لأنه ما كانت عنده دولة ولا قوة، ثم عندما قامت

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الجهاد والسير – باب: تمني الشهادةي (٢٦٤٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدولة والقوة نزل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] فأمرهم الله بالجهاد.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

تمكن الإخوان المسلمون بمصر، مكنهم الله في السودان مكنهم الله في بلدان أخرىٰ والله ما قاموا بشيء من هذا، كذابون، لا دين صحيح لا عقيدة لا علم ولا شيء.

محمد بن عبد الوهاب بدأ وحيدًا، ودعا وقامت له دولة وطبق شريعة الله كأنه في عهد الصحابة.

جميل الرحمن أقام إمارة تطبق الشريعة؛ قتلوه، هكذا جهاد هؤلاء الإخوان، قتلوا جميل الرحمن، الدعوة السلفية بدأت تنتشر في الجزائر؛ ذبحوها، لا يريدون التوحيد ولا يريدون

الإسلام الحق، يريدون الروافض إخواننا والنصارىٰ إخواننا يريدون هذا.

مفاسد الكذب:

قال المؤلف: إيّاك والكذب فإنه يفسد عليك تصور المعلومات علىٰ ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس، فإن الكذب يصور المعدوم موجودا والموجود معدوما، والحق باطلا والباطل حقا، والخير شرا والشر خيرًا، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له.

ثم يصور ذلك في نفس المخاطب المغتر به الراكن إليه فيفسد عليه تصوره وعلمه، ونَفْسُ الكاذب مُعْرِضَةٌ عن الحقيقة الموجودة نَزَّاعةٌ إلىٰ العدم مؤثِرَةٌ للباطل، وإذا فسدت عليه قوة تصوره وعلمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي فسدت عليه تلك الأفعال وسرىٰ حكم الكذب إليها فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان، فلا ينتفع بلسانه

ولا بأعماله، ولهذا كان الكذب أساس الفجور كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلىٰ الفُجُورِ وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلىٰ النَّارِ »[(١)] وأول ما يسري الكذب من النفس إلىٰ اللسان فيفسده، ثم يسري إلىٰ الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد علىٰ اللسان أقواله، فيعم الكذبُ أقوالَه وأعمالَه وأحوالَه، فيستحكم عليه الفساد ويترامىٰ داؤه إلىٰ الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق بقلع المادة من أصلها، ولهذا كان أصلَ أعمال القلوب كلِّها الصدقُ، وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب، فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الأدب – باب: قول الله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾] (٥٧٤٣)، ومسلم كتاب: البر والصلة والأدب باب: قبح الكذب وحسن الصّدق وفضله (٦٨٠٣) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالىٰ يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقال : ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠].

التعليق:

هذا فَصْلٌ جيد نستفيد منه، وندرك مفاسد الكذب، وأن منشأها القلب ثم تسري إلىٰ اللسان ثم تسري إلىٰ الجسد فالأفعال؛ لأنه إذا صلح القلب صلح الجسد كلُّه، وإذا فسد

القلب فسد الجسد كلُّه كما قال النبي ﷺ في الحديث عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»(١) فأصلحوا قلوبكم تستقمْ ألسنتُكم وتستقمْ جوارحكُم، لا بد من العناية بإصلاح القلوب بالتزام الصدق وبالإخلاص والتوبة والإنابة ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ والحذر من الرياء، والحذر من الحسد، والحذر من الحقد، والحذر مما يفسد القلب.

فلا بد من تطهير القلب؛ لأنه لا يدخل الجنة إلا من لقي الله بقلب سليم، والقلب السليم هو الذي يسلم من هذه الأدواء، من الشرك والكذب والبطر والأشر والحسد والبغضاء في سبيل الشيطان إلىٰ آخر الصفات الذميمة.

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الإيمان – باب: فضل من استبرأ لدينه] (٥٦٧٢)، ومسلم [كتاب: المساقاة باب – أخذ الحلال وترك الشبهات] (٤١٧٨).

إذا صلح القلب –وله علاجه، بالقرآن وبالحمية من الوقوع في هذه الأدواء – صلح الجسد كلُّه، وتصلح الأعمالُ كلُّها، فإذا تكلم يقول الصدق وإذا عمل يعمل الأعمال الصالحات ويجتنب الأعمال والأقوال السيئة.

ومما أرشد إليه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن لا نقول إلا الخير، فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١) قل الخير، واترك الشر بأنواعه؛ فاترك الكذب والغيبة والنميمة وكل شر فلا تتكلم به، حتىٰ الأمور المباحة التي يباح لك الكلام فيها لا تسرف فيها لأنها تجرك إلىٰ الوقوع في الشر، و«**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢) فاقرأ القرآن واقرأ الحديث واقرأ ما

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الأدب – باب «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»] (٥٢)، ومسلم [كتاب: الايمان–باب: الحث علىٰ اكرام الجار والضيف ولزوم الصمت] (١٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٨)، ومسلم برقم (٤٧)، من حديث=

ينفعك، تكلم بما ينفع نفسك وينفع الناس من النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما شابه ذلك، ففي حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١)، وفي القرآن توجيهات كثيرة جاءت تحذِّر من الكذب وتبيِّن مفاسده، وكذلك في السنة، فاقرءوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستضيئوا بهما في أمور دينكم – جميعًا – ودنياكم تصلح حياتُكم وأحوالُكم.

أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين الأبرار، وأن يجنبنا طرق الفجار الأشرار، إن ربنا لسميع الدعاء.

الأسئلة:

يقول السائل: الإخوة من الرضاعة أو الأبناء من الرضاعة

= أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١) أخرجه أحمد (٢١٠٠٨) والترمذي [كتاب: الايمان عن رسول الله – باب: حرمة الصلاة] (٢٥٤١) وابن ماجه [كتاب الفتن – باب كف اللسان في الفتنة] (٣٩٦٣) عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يرثون بالفرض أم بالتعصيب؟

الجواب: هذا السائل أظنه يعرف الفرائض ويريد أن يوقع بمن يجيبه، والذي يسأل ينبغي له أن يسأل ليستفيد.

الإخوة من الرضاعة أو الأبناء من الرضاعة لا يرثون لا بالفرض ولا بالتعصيب، إنما هي حرمة، يحرم بالرضاعة ما يحرم بالنسب(١)، فالمرأة التي ترضعه يحرم عليها، وبناتها يحرمن عليه وبنات أبنائها وبنات بناتها وأمها وخالتها وعمتها يحرمن عليه، فيحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب أما الميراث فلا ميراث.

يقول السائل: من أشرك في الألوهية كفر ولم يُعتبر تأويله مهما كان، فكيف اعتبرنا التأويل أو الشبهة في توحيد الربوبية

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: النكاح – باب: باب ما يحل من الدخول والنظر إلىٰ النساء في الرضاع] (٤٩٤١)، ومسلم [كتاب: الرضاع – باب: باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة] (٣٦٤١) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

حيث لا نكفر القدرية؟، وما هو الضابط في المسائل العقدية المحتملة للتأويل؟

الجواب: هناك كفر عناد وهناك كفر تأويل، فالتكذيب بالقدر كفر، وتعطيل الصفات كفر، لكن الذي يكذب بالقدر رأسًا – بغير تأويل إنما هو عناد – فهذا كافر لا شك.

أما الذي يرىٰ نفسه مسلمًا ويرىٰ نفسه ملتزمًا بالإسلام ويعمل بالأوامر والنواهي كأهل القدر الذين ضلوا في هذه الأشياء من باب الغيرة علىٰ الدين بزعمهم، فهؤلاء لا يُكَفَّرون، والخوارج كفَّروا المسلمين ولكن بالتأويل، فما نكفِّرهم، وتعطيل الصفات كفر لا شك، لكن لا نكفِّرهم إلا بعد إقامة الحجة، أما الذي يُكَذِّب عنادًا وكبرًا لا تأويل له فهذا كافر خارج عن الملة. ولهذا لا يُكفَّر من أهل البدع إلا المكذب المكابر.

يتكرر هذا السؤال كثيرًا حول التعامل مع أقوال السلف، حيث يقول بعضهم: أقوال السلف ليست دينًا.

الجواب: أقوال السلف ليست دينًا؟! إجماعاتهم ليست دينًا؟! وأقوالهم الموافقة للكتاب والسنة ليست دينًا؟! ثم من هذا الذي يقول إن أقوال السلف ليست من الدين بهذا الإطلاق؟ ما وافق من كلام السلف الكتاب والسنة ووافق كلامَ الرسول ﷺ وكلامَ الصحابة فهذا دين نقبله، وما خالف هذا فليس من الدين ونرده ونعتذر لصاحبه إن كان من أهل العلم والفضل، وإن كان من أهل الهوىٰ فهذا مبتدع وليس من الدين، فلا تجعل أقوال أئمة الدنيا وَسَادَتَها ومصابيح الدجىٰ مثل أقوال الكفرة والجاحدين والمبتدعين.

إن كان مثل مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين وعلي بن المديني والبخاري ومسلم وأئمة الإسلام عمومًا، فهؤلاء غالبا ينتزعون أقوالهم من دين الله، وقد

يخطئ، فنحن عندنا ميزان لأقوال الناس وأحكامهم وأخبارهم وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقاعدة الأساسية: لا معصوم إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما يبلِّغونه، وقد يقع بعضهم في الخطأ. كما هو رأي الجمهور، فإذا كان النبي يخطئ ولا يُقَرُّ علىٰ الخطإ فكيف بغيره؟! ولهذا توجد قاعدة [كُلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا رسول الله ﷺ]، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، فإذا كانت المسألة مختلفا فيها نتحاكم إلىٰ الكتاب والسنة، إذا انفرد الرجل برأي ننظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إن كان يوافقهما أخذنا به، لأنه وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإن خالفهما اعتذرنا له وقلنا: مجتهد، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

وإذا أجمعوا فلا مخرج لنا من إجماعهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن

يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فهذا من أدلة الإجماع، ومن الأدلة علىٰ أن هذه الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة كما قال النبي ﷺ، ولهذا فإن أصول أهل السنة الكتاب والسنة والإجماع، وقد يلحقها القياس الواضح الجلي، لأن القياس قد يغلط فيه الناس وغلط فيه أهل الرأي ووقعوا في تخبطات كثيرة، ومنهم من يعتبر القياس كالميتة لا يلجأ له إلا في حالة الضرورة، وأما القياس الجلي فهذا يُقبل.

يقول السائل: أخي يعمل في بنك ربوي وهو مهندس كمبيوتر فيه، فنرجو منكم توجيه نصيحة له ولعموم من ابتلي بالعمل في مثل هذه البنوك.

الجواب: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ

وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]، فالذي يشتغل في البنوك الربوية في أي عمل يكون متعاونًا معهم علىٰ الإثم والعدوان، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، أنا ذهبت إلىٰ المغرب ونزلنا بتونس في فندق يسمىٰ المشتل، وجدنا فيه مطاعم فيها الخنزير وفيها الخمر وفيها كل البلايا والعياذ بالله، سألنا عن أحسن مطعم فجئنا وقدم لنا القائمة وإذا فيها الخمر والخنزير، فسألته، قلت له أنت مسلم؟ قال نعم، قلت وهل تعلم أن الخمر حرام وأن الخنزير حرام؟ قال نعم، قلت فكيف تقدمه للناس؟ قال فمن أين آكل؟ قلت اتق الله عَزَّوَجَلَّ يرزقك الله من حيث لا تحتسب ويجعل لك مخرجًا، اتق الله في نفسك فالله ضمن لك رزقك، وما كُتِب لك فلن يفوتك أبدًا، قال ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حتىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي**

الله، **فَإِنَّهُ لا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ»**[(١)]، والإنسان يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد وهو في بطن أمه، بل مكتوب من الأزل، فما قدَّره الله لك لن يفوتك أبدًا، فالمؤمن يتوكل علىٰ الله، ويطلب رزقه الحلال من الله عَزَّوَجَلَّ، ويسعىٰ في الأرض بقدر ما يستطيع، ويجعل الله له فرجًا ومخرجًا، فلا يتعامل مع البنوك الربوية، فليتق الله المؤمن، فلو أن أحدًا يبيع في دكانه الخمر ويقول هذا رزقي! أو لحم الخنزير ويقول هذا رزقي! كلام فارغ؛ لأن هذه محرمات، والربا من أكبر الكبائر، وإذا استحله فهو كافر، وإذا لم يستحله فهو من أكبر الكبائر، أكبر من الزنا ومن شرب الخمر وأكبر من كل الذنوب إلا الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فالربا عظيم جدًا، والله عَزَّوَجَلَّ توعدهم بالحرب، فقال تعالىٰ: ﴿فَإِن

---

(١) رواه الحاكم [كتاب البيوع] (٢١٣٦) والبيهقي في "شعب الإيمان" [باب في الزهد وقصر الأمل] (١٠٣٧٦) عن جابر بن عبد اللّه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فهي حرب في الدنيا والآخرة، و﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، يعني ينميها، والربا يُمحَق ولا فائدة منه، فانظروا الآن أي أثر للبنوك في حياة المسلمين، آثار سيئة جدًا، فتسليط الأعداء عليهم، من أسبابه الربا، سواء من طريق البنوك أو من غيرها، حرب من الله عَزَّوَجَلَّ بتسليط الأعداء، أموال بالمليارات يمتلكها المسلمون لكن لا فائدة فيها ولا بركة، لم تحمِ دينهم ولا دنياهم.

الصحابة فتحوا الدنيا وليس عندهم شيء من هذه الأموال، كم كانوا يجوعون وهم في الغزوات وفي السرايا – رضوان الله عليهم – حتىٰ يأكلوا كما تأكل الشاة ويضعون كما تضع الشاة، فيأكلون أوراق الشجر من الجوع، ثم يفتح الله عليهم وينصرهم، فهذه بركة.

فعلينا بتقوىٰ الله والاستقامة علىٰ دينه، فنقوم بالعبادات؛

الأوامر والنواهي علىٰ الوجوه المشروعة، ونجتنب الربا والزنا والخمر وكل الكبائر، ونجتنب الصغائر بقدر ما نستطيع وإن كانت مكَفَّرة بالصلاة والزكاة والحج وما شابه ذلك، فبهذا المؤمن يستقيم في حياته، أما الكبائر فيجب أن يجتنبها لأنها تسخط الله عَزَّوَجَلَّ وعليها وعيد شديد.

والذي يكتب في الحاسب الآلي أو يخدم أي خدمة في البنك فهذا من التعاون علىٰ الإثم والعدوان، فلا يجوز له، وليبحث له عن مصدر رزق حلال وسيجعل الله له فرجًا ومخرجًا.

يقول السائل: روىٰ الإمام أحمد من حديث عثمان بن حُنَيْف «أن رجلا ضريرا أتىٰ النبي ﷺ فقال يا نبي الله ادع الله أن يعافيني» وقال في آخر الحديث «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد** ﷺ **نبي الرحمة**» إلىٰ آخر الحديث، هل هذا الحديث صحيح؟ وإن كان صحيحًا فهل فيه دليل علىٰ جواز

التوسل بالنبي ﷺ؟

الجواب: ولماذا لم تذكر الحديث بصيغته كلها؟

روىٰ الإمام أحمد من حديث عثمان بن حُنَيْف «أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي فَقَالَ **إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لِآخِرَتِكَ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ قَالَ لَا بَلْ ادْعُ اللَّهَ لِي** فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِىٰ وَتُشَفِّعُنِي فِيهِ وَتُشَفِّعُهُ فِيَّ**» قَالَ: فَكَانَ يَقُولُ هَذَا مِرَارًا ثُمَّ قَالَ بَعْدُ أَحْسِبُ أَنَّ فِيهَا **أَنْ تُشَفِّعَنِي فِيهِ** قَالَ: فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَأَ.[(١)]

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٠٥) واللفظ له والترمذي [كتاب: دعوات الرسول ﷺ – باب: دعاء الضيف] (٣٥٠٢) وابن ماجه [كتاب: الصلاة والسنة فيها – باب: ما جاء في صلاة الحاجة] (١٣٧٥).

فالرجل قال لرسول الله ﷺ: لا بل ادع الله لي. ألا يدل هذا علىٰ أن المقصود هو دعاء الرسول ﷺ له؟ فالرجل لم يجلس في بيته وتوسل بالنبي، إنما ذهب إلىٰ رسول الله ﷺ وطلب منه الدعاء، ثم أمره ﷺ بأن يتوضأ ويأخذ بالأسباب ويدعو الله تعالىٰ بهذا الدعاء، ومعناه استجب دعاء الرسول فيّ واقبل شفاعته فيّ، ولم يقل له ﷺ اذهب وتوسل بي، بل وعده بالدعاء وعلمه كيف يدعو بالدعاء وزاد علىٰ ذلك الوضوء والصلاة. وهذه كلها من أسباب الاستجابة، فدله علىٰ أقوىٰ أسباب الاستجابة، هل فيه أنه قال له: توسل بجاهي. هل قال له هذا الكلام؟ ما قاله له، معناه اقبل شفاعة محمد فيَّ واقبل دعاءه واستجب دعاءه.

فليس لأهل الأهواء والبدع أي متعلق في هذا الحديث، بل هو حجة عليهم لا لهم، ففي قول الرجل – أتوجه إليك بنبيك – يعني بدعائه، فالسياق يفسره، ودلالة السياق أقوىٰ

من دلالة الألفاظ، فالسياق ألفاظه واضحة صريحة في أن هذا التوسل إنما هو بالدعاء، وهذا مشروع، فالرسول ﷺ كان يطلب أصحابُه منه الدعاء.

أما أن يقف شخص ويقول: اللهم هذا فلان أتوسل إليك بجاهه، أو بواحد ميت؛ يقول: أتوسل إليك بجاهه. فهذه لا يعرفها الإسلام ولا يعرفها السلف، وهذا جرَّ كثيرًا من الناس إلىٰ الشرك، وصاروا يفسرون الاستغاثة والاستنجاد في الشدائد وأحوال الكروب بالتوسل، يدعو غير الله ويقول أتوسل، وهذا شرك، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥- ٦]، ما هذه العبادة؟ دعاؤهم إياهم، فالكلام واضح جدا في دمغ أباطيل وضلال أهل القبور والخرافيين من الروافض والصوفية.

الإسلام دعوة حارة إلىٰ التوحيد، مليء بالآيات في التوحيد؛ توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، أما هؤلاء فلا يعرفون هذه الأشياء، عطلوا الأسماء والصفات، عطلوا توحيد العبادة، جاءوا بعبادات وعقائد أخرىٰ، نسأل الله العافية.

فنحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي وفقنا لمعرفة منهج السلف الصالح، من. الاعتقادات والعبادات والأعمال الصحيحة، قال ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١)، ودعاء غير الله شرك، وتعطيل أسماء الله وصفاته كفر(٢)، أيُّ عمل كفري في

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري عن مالك بن الحويرث [كتاب: التمني - باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام] (٦٨١٩).

(٢) لكن إذا كانوا متأولين نقول هذا العمل كفر، ونقيم عليهم الحجة؛ فإن عادوا فهم كفار. أما ساب الله وساب الرسول فهذا كافر أصلا، ولا عذر له.

باب الأسماء والصفات في باب العبادة وفي بعض الأشياء التي تلتبس علىٰ بعض الجهلاء وعلىٰ بعض العلماء الأغبياء من أهل الأهواء فهؤلاء وإن كانت أعمالهم كفرًا فإنا لا نكفرهم إلا بعد إقامة الحجة، أو كان الأمر واضحًا وهو يستحله فيكفر.

الشاهد: أنه يوجد توسل مشروع وتوسل محرم ممنوع، واقرءوا في هذا الباب كتاب "التوسل والوسيلة" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب "التوسل" للشيخ الألباني، رحم الله الجميع، كتابان من أبدع ما يكون في التوسل وبيان أنواعه المشروعة بل الواجبة، فمن التوسل ما هو واجب، وهو الإيمان الصادق والعمل الصالح، فهذا لا وسيلة للإنسان إلىٰ النجاة من النار ودخول الجنة إلا بالإيمان الصادق والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟

بِٱلصَّبۡرِ﴾ [سورة: العصر]، فلا تنفعك قرابةٌ؛ ابن نبي إذا لم يكن موحدًا فهو كافر وهو في النار، فابن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وزوجته كافران فما نفعتهما قرابتهما، زوجة لوط كذلك، والرسول ﷺ نادىٰ قريشًا بطنًا بطنا فقال كما في الحديث: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الله لَا أُغْنِي عَنْكم مِنَ الله شَيْئًا يَا عَبَّاس بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(١) وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

---

(١) أخرجه البخاري [كتاب: الوصايا – باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب] (٢٦٠٢)، ومسلم [كتاب: الإيمان – باب: في قول الله تعالىٰ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْن﴾] (٥١٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فكل الوسائل الغير مشروعة تضر ولا تنفع، فعلينا بالأعمال المشروعة من الواجبات والتطوعات، وهي الإيمان والعمل الصالح، ومحبة الرسول ﷺ واجبة، وهي من أعظم الوسائل، وكذلك تصديقه واتباعه ﷺ.

❋❋❋

فهرس الموضوعات

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

مكان السنة و التحذير من مظاهر الغلو
المعصية و أثرها السيئ على الأمة
من صفات الأبرار والمقربين
الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة
مراتب الهداية مفاسد الكذب
التمسك بالكتاب والسنة
المخرج من الفتن
التحذير من الفتن
التقوى وآثارها
الاستقامة وأثرها على المسلمين
الكذب و آثاره السيئة
شمولية و كمال الرسالة المحمدية

ISBN 994798773-6
9789947987735

الميراث النبوي للنشر والتوزيع
الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213)
المبيعات: 661409999 (00213) الفاكس: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com